كروبسكايا

التثقيف الذاتي

اعداد الكتروني: جريدة المناضل-ة

الفهرس

- تنظيم التثقيف الذاتي
- -اختيار مادة الدراسة
- -كيف ندرس المواد الضرورية
- -اقتصدوا الوقت والطاقة
- ارشادات عامة لمن يريد أن يدرس دراسة عامة
- حول التثقيف الذاتي

بيد أن هذا كله لا يثبّط همم الشعب العامل للتعليم. فسيلعب التثقيف الذاتي في روسية دورا ذا أهمية استثنائية ولأمد طويل.

التثقيف الذاتي

كروبوتكينا

- **تنظيم التثقيف الذاتي**

قدمت ثورة تشرين الأول/أكتوبر الاشتراكية للكادحين –العمال والفلاحين– فرصا واسعة جدا كيما يعيدوا بناء حياتهم. فقد شعر العامل أنه سيد مشروعه، واستلم الفلاح الأرض، فأصبح حلمه الذي يذود بذلك واقعا ملموسا. وقد أدى كل ذلك إلى بعث النشاط فيهم وإثارة حماسهم.

ولكنهم سرعان ما أدركوا أنهم عُرّضون بسبب افتقارهم إلى أبسط مبادئ المعرفة. وقد أنهت الحرب حالة الانعزال التي كان يعاني منها الريف واطلعت الفلاح على أسلوب حياة الناس. فرأى الفلاح منذرات العلم، وعلم أن العلم جعل بمستطاع الانسان أن يجدد خصوبة التربة وأن يستدر منها طاقاتها وثرواتها. وكان العامل قد عرف كل ذلك من قبل.

والثورة إذ جعلت الجماهير الكادحة سادة مصيرهم أيقظت فيهم رغبة تطبيق العلوم لأغراضهم الخاصة.

وقد كشفت هذه الرغبة للعامل والفلاح أكثر من ذي قبل افتقارهم إلى المعرفة وحاجتهم إلى اكتسابها.

إن الحكومة السوفياتية تعطف كل العطف على رغبتهم في الدراسة وتؤيدها. وقد كان التعليم خارج المدارس في ظل القيصرية منظما تنظيما بائسا رديئا. بيد أن الحكومة السوفياتية تعير العمل بين الراشدين اهتماما تاما ولا تبخل في بذل المبالغ الطائلة في هذا السبيل.

إن الانفلال ضد الأمية يسير على قدم وساق. فقد أنشأنا حوالي 80000 قاعة مطالعة في الريف وحوالي 30000 مكتبة وشبكة واسعة من المدارس الدنيئة السوفياتية والنوادي... الخ. وقد استفدنا من الصحافة إلى أقصى حد. كما استخدمنا التسهيلات الثقافية لغرض التحريك، وقد قمنا بحملات تحريكية ونظمنا دورات دراسية متنوعة.

ولم يكن عمل النقابات في مضمار التعليم أقل أهمية من ذلك وكذلك المنظمات النسائية (2) وعصبة الشباب.

وقد نظمت تشريعات شهول الطلاب والاعانات بحيث تجعل بمستطاع أوسع ما يمكن من جماهير العمال والفلاحين الالتحاق بمعاهد الدراسة العالية. وقد أدّيت التسهيلات اللازمة لقبول كافة أبناء العمال والفلاحين في المدارس الثانوية. وقد أنشئت مدارس خاصة -ممارس إعداد العمال- لإعداد العمال والفلاحين للجامعات ومعاهد التعليم العالي الأخرى.

وفي عام 1919 في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، (1)الحديث عن عام 1922

(2)منظمات العمل بين النساء العاملات والفلاحات نظمت في أيلول/سبتمبر وزمن ثم أنشئت في كافة المنظمات الحزبية المحلية.

(3)من قصيدة بوشكين «الشاعر»

(4)العامل الذي يشتغل يوميا. واستعملت كلمة المياوم من المحاوم يوميا.

(5)كتب هذا البحث في عام 1922.

قال: من أعظم المساوئ والمصائب التي تركها لنا المجتمع الرأسمالي القديم هو فصل الكتب فصلا تاما عن الحياة العملية. فقد كانت لدينا كتب تتناول وصف كل شيء أخس ووصف ممكن، ومع ذلك كانت هذه الكتب في أغلب الحالات تحوي أكبر الافتراءات المرائية الكريهة التي تصف المجتمع الرأسمالي وصفا كاذبا.

لذلك فان من الخطأ الفاحش أن يستوعب المرء كل ما كتب عن الشيوعية في الكتب بشكل مجرد. ففي أحاديثنا ومقالاتنا لا نعيد ونكرر ما قيل في السابق، فقط عن الشيوعية، لأن خطاباتنا ومقالاتنا ترتبط بعملنا اليومي في كل فروعه. فبدون العمل، بدون النضال، تصبح معرفة الشيوعية معرفة مجردة مستقاة من الكراريس والكتب الشيوعية عديمة الفائدة إطلاقا، لأنها بذلك تواصل الفصل القديم بين النظرية والتطبيق. هذا الفصل القديم الذي كان أبشع معالم المجتمع البرجوازي القديم.

لكي يتعلم المرء ربط النظرية بالتطبيق في العمل اليومي في كل ميدان من ميادين العمل من أجل الصالح العام، عليه أن يدرس كثيرا دراسة مستقلة، وفي العمل التطبيقي تنشأ مسائل عديدة لا يمكن أن يحلها المرء إلا إذا توفرت لديه المعرفة العامية. معلى الانسان أن يعرف كيف يكتسب هذه المعرفة بصورة مستقلة، ولكي يحقق ذلك يجب أن يكون لديه حد أدنى من المعرفة وان تتكون لديه عادة الدراسة دراسة مستقلة.

ولدينا الآن سطح عامر بالإنجازات، فقد تبدل وجه قطرنا تبدلا جذريا وصبح الناس واعين منظمين، بيد أن المزيد من التقدم يتطلب المزيد من المعرفة، إذ على ذلك أن الجماهير العاملة الواسعة يجب أن تسلح لا بنتف من المعرفة بل بالمعرفة التي تؤلف كلا متكاملا. المعرفة الضرورية لرفع عملنا التطبيقي إلى مستوى أعلى.

والتعزيز قوته وتنظيمه ولكي تكون متنزلتنا أكثر اقتناعا بالجميع.

إننا بحاجة إلى المعرفة لغرض تقوية نفوذنا على الشعب العامل في البلدان الأخرى، ونجاحها لجعل قطرنا أغنى وأغنى ونجاحها الآن أكثر من أي وقت مضى في الماضي...

إننا بحاجة إلى المعرفة للدفاع عن أرض وطننا ونجاحها للنضال من أجل الثورة الاشتراكية العالمية.

عن ظلم النظام الرأسمالي. وعن أفاقه المظلمة. إن أذهان الشعب العامل تعمل دوما كل يوم، أفكارا جديدة للحياة

إننا نعيش عصر ثورة اجتماعية، نعيش وقتا يشرف فيه النظام الرأسمالي القديم على الانحلال والموت ليفسح المجال للنظام الشيوعي الجديد. والنظام الرأسمالي قائم على أساس الاستغلال والاضطهاد. إنه نظام أدى إلى الحرب الامبريالية العالمية التي هزت العالم. وهذه الحرب وأهوالها عرّفت القناع العثماني عن جسم الرأسمالية، فكشفت للجماهير الواسعة

نختار المواضيع ذات الأهمية العظمى بالنسبة للإنسان.

والتطورات التي تعلمه كيف يستفيد من قوى الطبيعة وثرواتها وكيف يغير حياة المجتمع الإنساني. بل من الضروري أن

إن مجال المعرفة الانسانية مجال واسع رحب. ففي مضمار العصور اكتسب الناس مقدارا هائلا من المعرفة عن الطبيعة والمجتمع مما لا يمكن تعدديه ولَيس من يستطيع استيعاب جميع هذه المعرفة اطلاقا إذ ينبغي أن يعيش عشر مرات كيما يتقنها بل حتى ذلك لا يكفيه. وليس بالإنسان حاجة، على كل حال، لأن يتعلم كل شيء. فيكفيه أن يختار من بين هذه الكتلة الهائلة من المعرفة الانسانية أهم ما فيها، أي المعرفة التي تجعل الانسان شديد البأس وتمنحه السلطة على الطبيعة

-اختيار مادة الدراسة

إن ثروة العمال من وجهة نظر كفاءة تنظيم العمل هم العمال الذين ينخرطون عملهم انخراطا مرنيا ومبرمجا وسريعا ويبذل أقل ما يمكن من الزمن والطاقة.

لقد حلل فردريك تيلر وغيره من المهندسين والأخصائيين مسألة تنظيم العمل البدني تحليلا ضافيا. بل توجد كتب عديدة جدا في موضوع تنظيم المعامل وتوزيع الأدوات وتقسيم العمل وإصدار التعليمات وتقرير العمل الناتج. ولا نناقش هذه المسائل إلا لعرض تجنب تبذير الوقت والطاقة.

إن خبرة العمال في ميدان الحديث في هذه الأحاديث هي بالدرجة الرئيسية كثيرا ما يجري الحديث في مجالنا عن الدعاية لتنظيم العمل والانتاج. أما ما تتضمنه هذه الأحاديث فهو بالدرجة الرئيسية أنفسهم بذلك.

والناس الأكثر عزما والمثابرون ينخرطون ما يريدون ولكنهم أثناء ذلك يبذلون جهودهم بدلا لا ثمرة فيه وكثيرا ما يرهقون

الموضوع، أي لأن المرء لا يخرج لصيد الدببة أعزلا كما يقال.

والدراسة ليست صعبة إلا بسبب أن المرء يريد قراءة ماركس دون أن تكون له المهارة والمعرفة اللازمتان لاستيعاب

أما الناس الأقل عزما وذوو القلوب الخائرة فإنهم يعتبرون الدراسة أمرا صعبا وعسيرا ولذلك يسقطونها من حسابهم.

(رأس المال) ليحصل على نتيجة واحدة فقط، وهي أنه لا يفهمه.

غير أن الثقيف الذاتي لا يمكن أن يعطي ثمارا طيبة إلا إذا علم المرء ماذا يقرأ وكيف يقرأ وكيف ينظم دراسته على أسس

إنهم لن يعرفوا كيف يستسرون في دراساتهم وماذا يقرأون وكيف يقرأون/ بل انهم يتقنون إلى العادات الأولية التي لا

غنى عنها عند دراسة الكتب. وغالبا ما لا يرضى رجل، وهو ما زال حديث عهد بالقراءة والكتابة بقراءة أقل من كتاب ماركس

وجه.

والمسألة الثانية التي نناقشها ليلين في هذا الخطاب، كانت مسألة ربط النظرية بالتطبيق.

ثم قال: «اننا بحاجة إلى تطوير وإيضاح ذهن كل طالب بمعرفة الحقائق الأساسية. لأن الشيوعية تتحول إلى كلام فارغ أو مجرد شعار مكتوب، ويصبح الشيوعي مجرد ثرثار ان هو لم يستوعب في ذهنه كل ما اكتسب من معرفة، ولا يجب أن تستوعب هذه المعرفة وحسب، بل يجب أن تستوعبها استيعابا انتقاديا، لكي لا تحشر ذهنك بقواعد لا فائدة فيها بل تغنيه بكافة الحقائق التي لا يمكن أن يستغني عنها أي انسان متعلم. وان فكر شخص في أن بإمكانه بشيوعيته بسبب الاستنتاجات الجاهزة التي تعلمها دون أن يبذل فيها مقدارا عظيما من العمل الجدي المتواصل ودون أن يفهم الحقائق التي يجب أنت يفحصها فحصا انتقاديا فانه يكون شيوعيا بزيف له.

فهذه السطحية خطرة مميتة. فان كنت أعلم أني لا أعرف إلا القليل فسأسعى حينئذ إلى المزيد من التعلم. أما إذا قال الانسان انه شيوعي وانه ليس بحاجة إلى أن يتعلم أي شيء تعلما شاملا فلن يكون له أي شبه بالشيوعي في يوم من الأيام.

واضح وضوح الشمس، انه إذا وجب أن يختار الشخص المواد الضرورية وان ينتقي أهم أجزائها فان عليه أن يفكر فيها مليا وان يتوصل إلى الاستنتاجات الضرورية، لا ان يهضمها ميكانيكيا وحسب. وبعبارة اخرى يجب ان يتعلم المرء العمل مستقلا وذلك فان عليه أن يكون لديه فكرة عن كيفية القيام بهذا العمل المستقل».

وقد كافح اللينينيون هذا التيار بكل حزم.

ففي مطلع هذا القرن ظهر تيار انتهازي في الحركة الاشتراكية الديمقراطية الروسية تدعى «الاقتصادية» وقد زعم الاقتصاديون بأن العمال يجب أن لا يشغلوا أنفسهم بالنظريات، أو أن يشتغلوا في النضال السياسي بل انهم يجب أن ينشئوا الجريدة إلى درجة انها أعلنت باسم العمال «بأننا لا نحتاج إلى ماركس وانجلز وأشباههم، فنحن العمال نعلم ما نريد عمله».

ففي مقال «فردريك انجلز» الذي كتبه لينين بمناسبة وفاته في عام 1890 لصديقه سريع أكد بأسلوب شعبي أهمية الماركسية العلمية الهائلة.

وفي مقالا «فردريك انجلز» الذي كتبه لينين بمناسبة وفاته في عام 1895 لصديقه السريع أيضا، ففي نهاية العقد الأخير في القرن الماضي حاولت الجريدة السرية رابوجايا مصل أن تقصر حركة العمال على النضال من اجل المطالب المغرى، وقد تمادت

وبعد ذلك –في سنوات الرجعية والتذبذب الايديولوجي التي تلت ثورة 1905 –ظهر تيار بين البلاشفة، تحدى صحة المادية الديالكتيكية- الأساس العلمي للماركسية- وحاول البرهنة على أن الالكترونات الأخيرة في العلوم الطبيعية تناقض مع المواقف الفلسفية للمادية الجدلية. وفتح كرزه أن استنتاجاتهم خاطئة وتفتقر إلى الأساس العلمي، كان ذلك خطأ خطيرا، لذلك حارب لينين معهم في معركة علمية حامية تفسير الظواهر تفسيرا ماديا، لذلك حارب لينين بقوة هذا التيار في 1908 و1909 وكان الكتاب الذي كان

وطلب إلى كافة أعضاء الحزب وعصبة الشباب الشيوعي أن يدرسوا الماركسية.

وقد شرح لينين كيف يجب أن يدرس الشباب الماركسية أحسن شرح في خطابه عن مهام عصبة الشباب. فقد شرح كيف يجب أن يدرسوا، وماذا يجب أن يدرسوا، إن هم أرادوا أن يصبحوا شيوعيين واعين. وأوضح كيف يجب استيعاب مادة الدراسة وكيف يجب أن يهضموا وبأية شيئا تكون أثناء نفسك قد حركات ه ه وصحتك».

ثم قال: «لا تصم الشيوعية شيئا مدروسا، بل شيئا تكون أنت نفسك قد حركات ه ه وصحتك».

الخامس والعشرون من أكتوبر (تشرين الأول) 1917 هو اليوم الذي أعلن فيه البلاشفة، بقيادة لينين وتروتسكي، عن الاستيلاء على السلطة في روسيا. وقد أطلق على هذا اليوم اسم الثورة البلشفية، أو الثورة الاشتراكية، أو الثورة البروليتارية. وقد كان هذا اليوم بداية لعصر جديد في تاريخ البشرية، حيث تم فيه إنشاء أول دولة اشتراكية في العالم، وهي الاتحاد السوفيتي.

كان لينين هو القائد الرئيسي للثورة البلشفية، وقد كان يعتبر أن الثورة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين الناس. وقد كان يعتقد أن الثورة يجب أن تكون عالمية، وأن تنتشر في جميع أنحاء العالم. وقد كان يعتقد أن الثورة البلشفية هي بداية لثورة عالمية ستطيح بالرأسمالية وتقيم مجتمعا اشتراكيا عالميا.

وقد كان لينين يعتقد أن الثورة البلشفية يجب أن تكون مدعومة بالقوة العسكرية، وأن الحزب البلشفي يجب أن يكون حزبا منظما ومسلحا. وقد كان يعتقد أن الحزب البلشفي يجب أن يكون قادرا على قيادة الجماهير في الثورة، وعلى حمايتها من أعدائها.

وقد كان لينين يعتقد أن الثورة البلشفية يجب أن تكون مدعومة بالدعاية والتعليم. وقد كان يعتقد أن الجماهير يجب أن تكون على دراية بأهداف الثورة ومبادئها، وأن تكون قادرة على المشاركة في بناء المجتمع الجديد. وقد كان يعتقد أن الثورة البلشفية يجب أن تكون مدعومة بالثقافة والعلم، وأن تكون قادرة على تطوير المجتمع في جميع المجالات.

وقد كان لينين يعتقد أن الثورة البلشفية يجب أن تكون مدعومة بالاقتصاد، وأن تكون قادرة على تطوير الاقتصاد وتحسين مستوى معيشة الناس. وقد كان يعتقد أن الثورة البلشفية يجب أن تكون مدعومة بالتجارة، وأن تكون قادرة على تبادل السلع والخدمات مع الدول الأخرى.

وقد كان لينين يعتقد أن الثورة البلشفية يجب أن تكون مدعومة بالسياسة، وأن تكون قادرة على تحقيق الأهداف السياسية للثورة. وقد كان يعتقد أن الثورة البلشفية يجب أن تكون قادرة على تحقيق الوحدة بين الشعوب، وعلى تحقيق السلام العالمي.

ويظهر تاريخ حزبنا، أن الحزب قد نشأ نتيجة حتمية لانتشار الاشتراكية العلمية وفهم الطبقة العاملة لضرورة تنظيم نفسها في حزب سياسي مستقل. وكان أول من أدخل النظرية الماركسية وطبقها على الحركة العمالية في روسيا هو مجموعة «تحرير العمل» التي أسسها جيه. في. بليخانوف عام 1883. وقد قام بليخانوف وزملاؤه بترجمة العديد من أعمال ماركس وإنجلز إلى اللغة الروسية، ونشروا عدة مؤلفات أصلية تشرح وجهات النظر الماركسية حول التاريخ والاقتصاد والسياسة. وقد أدى هذا العمل إلى تحقيق انتصار نظري هام على الشعبويين الذين كانوا يهيمنون على الحركة الثورية الروسية في ذلك الوقت. وقد أثبت بليخانوف وزملاؤه أن روسيا قد دخلت بالفعل في بناء حياة جديدة، وأن هذه العملية تحدث بها ظروف معينة للغاية. وهذا يعني أن الطبقة العاملة الروسية، التي كانت في ذلك الوقت لا تزال في مهدها، يجب أن تتبنى النظرية الماركسية وتستخدمها كدليل للعمل. وقد أدى هذا إلى ظهور حركة عمالية واسعة النطاق في روسيا، وإلى تأسيس الحزب الديمقراطي الاجتماعي الروسي في عام 1898.

ومع ذلك، فإن هذا الحزب لم يكن حزبًا ماركسيًا حقيقيًا في البداية. فقد كان يضم في صفوفه عناصر مختلفة، بعضها ماركسي وبعضها الآخر ليبرالي أو حتى قومي. وقد أدى هذا التنوع إلى صراعات داخلية حادة، وانقسامات متكررة، وفترات طويلة من الجمود السياسي. ولم يتمكن الحزب من تحقيق وحدة حقيقية وفعالة إلا بعد ثورة 1917، وبعد أن تخلص من العناصر غير الماركسية في صفوفه. وهذا يعني أن الحزب لم يكن حزبًا ماركسيًا حقيقيًا إلا بعد أن أصبح حزبًا للطبقة العاملة بالفعل، وليس مجرد حزب يدعي تمثيلها.

وبالتالي، فإن الحزب قد نشأ نتيجة حتمية لانتشار الماركسية وفهم الطبقة العاملة لضرورة تنظيم نفسها في حزب سياسي مستقل. ولكن هذا الحزب لم يكن حزبًا ماركسيًا حقيقيًا في البداية. فقد كان يضم في صفوفه عناصر مختلفة، بعضها ماركسي وبعضها الآخر ليبرالي أو حتى قومي. وقد أدى هذا التنوع إلى صراعات داخلية حادة، وانقسامات متكررة، وفترات طويلة من الجمود السياسي. ولم يتمكن الحزب من تحقيق وحدة حقيقية وفعالة إلا بعد ثورة 1917، وبعد أن تخلص من العناصر غير الماركسية في صفوفه. وهذا يعني أن الحزب لم يكن حزبًا ماركسيًا حقيقيًا إلا بعد أن أصبح حزبًا للطبقة العاملة بالفعل، وليس مجرد حزب يدعي تمثيلها.

«من هم الصدقاء الشعب» وكيف يتاصمون الاشتراكيين الديمقراطيين (المجلد الأول) الذي كتبه عام 1894 لمحاربة سوء فهم الناروديك بقيمة الماركسية العلمية.

خذوا مثلا أول مؤلف كبير من مؤلفات لينين **«من هم الصدقاء الشعب»** وكيف يناصمون الاشتراكيين الديمقراطيين (المجلد الأول) الذي كتبه عام 1894 لمحاربة سوء فهم الناروديك بقيمة الماركسية العلمية.

يكون شعارنا: علينا أن نجعل الكتاب هي في خدمة المطرقة والمنجل.» هكذا يقولون.

العمل الانتاجي وليس لاكتساب المعرفة وليس لتطوير نظرة المرء العالم. يقول هؤلاء: «ان الكتاب يعود يهوس البعض أن يزعموا بأن الكتاب أداة للعمل وليس وسيلة للتطوير نظرة المرء العالم. يقول هؤلاء: «ان الكتاب يعود

حرمونا المعرفة لأنهم لا يريدوننا ان نتعلم كيف ننضال من أجل حياة أفضل». وعند ذلك الحين كانت ضرورة اكتساب المعرفة من أجل النضال المبدأ الأساسي في جميع نشاط عاملي الحزب هي والتركيز. وكيف يمكن أن يكون غير ذلك؟ فتعاليم ماركس وانجلز التي سلحت الطبقة العاملة في انضالها لم تكن نبوءة منزلة ولا اختراعا، بل كانت عملا علميا يمر بنا الجهة التي يسير اليها تطور المجتمع وكيف يمكن انجاز النصر.

النجاح العلوم الى يومه».

لقد حاول الاشتهازيون بكل ما أوتوا من قوة البرهنة على أن تعاليم ماركس وانجلز لا تستند إلى أساس علمي.

لم يبرهن على ذلك إلا على أساس أدق دراسة، وأوسعها وأعمقها، لهذا المجتمع الرأسمالي، ولا باستيعابه كل ما

يدرس قوانين تطور المجتمع الانساني، حتمية تطور الرأسمالية الذي يسير نحو الشيوعية. والشيء الرئيسي هو انه

ماركس وضع قدميه على أساس متين من المعرفة الانسانية المكتسبة في ظل الرأسمالية. فقد أدرك ماركس، وهو

وقال لينين في الخطاب الذي ألقاه عام 1920 عن المهام التي تجابه عصبة الشباب: **وإذا سألتم لماذا استطاعت تعاليم ماركس ان تخلب قلوب الملايين وعشرات الملايين من أفراد الطبقة الأكثر ثورية، فلن تتالوا سوى جوابا واحدا: لأن**

مجموعة تطورا طبيعيا، أو بعبارة أبسط انها أكثر من التكوص. بالاشتراكية إلى نظريات الاشتراكيين الطوباليين».

انها قلب الاشتراكية إلى نوع من التفكير الكنائسي. ضمن الضروري جدا. هي اعتقادي ان نعلن بكل ثبات وعزم ان

الناس الجاهلين جهلا مطبقا والمربتكين في فهم الأسس النظرية للماركسية لا يصلحون بتاتا لتثقيف البروليتاريا

بالاشتراكية. ولا لأن يكونوا معلمها وقادتها (تصفيق حاد) وان كل من يصادق على مثل هذه الآراء، الآراء التي ليست

في الواقع سوى ضربة إلى المعرفة العلمية الواحدة الصحيحة الجذور والتي تسعى الاشتراكية الديمقراطية الى

تلقينها للجماهير وجعلها أساسا لنشاطها العملي، أقول أن كل من يصادق على هذه الآراء يجب أن ينزوي في أحد

أركان بيته هادئا متواضعا ليتقن النظرية قبل أن يجرؤ على الدعوة للتحريف النظرة الاشتراكية إلى العالم». (تصفيق طويل).

وقد أن مصير الانتهازيين الالمان الآن إلى الانحياز إلى جانب الفاشية التي تكره الاشتراكية العلمية أكثر من أي شيء آخر، فالفاشيست يدركون الكتب الماركسية الكلاسيكية، ولكنهم أعجز من أن يقفوا بوجه المسيرة التاريخية التي أوضحها مؤسسا الماركسية، المسيرة التي لا بد وان تنتهي بانتصار الاشتراكية في جميع أنحاء العالم.

وفي مؤتمر الحزب عام 1908 عادت إلى هذه المسألة. فقد كتب الانتهازي مورير كر في مقال في المحافة البروجوازية «ان تحقيق أسلوب الانتاج الاشتراكي لن يكون بنتيجة ثورة تاريخية، بل انه فكرة تنظيمية بحتة، انه قضية ايمان وأمل». وقد قالت كلارا زيتكن تعليقا على هذه العبارة:

دخلت رأيه كلارا زيتكن إذ قالت: **«في رأيي ان الحزب الاشتراكي الديمقراطي هو حزب إرادة موجهة حازمة لأنه حزب علم، موجه حازم».**

وفي موتمر الحزب عام 1908 عادت إلى هذه المسألة. فقد كتب الانتهازي موريركر في مقال في المحافة البروجوازية «ان تحقيق أسلوب الانتاج الاشتراكي لن يكون بنتيجة ثورة تاريخية، بل انه فكرة تنظيمية بحتة، انه قضية ايمان وأمل». وقد قالت كلارا زيتكن تعليقا على هذه العبارة:

«ليست هذه العبارة سوى نقض لوجهة النظر القائلة بأن الدولة الاشتراكية في المستقبل ضرورة تاريخية حتمية ونتاج

وكذلك عضو في العالم الدولي، ولذلك لا يؤثر عليه الناس ولا تؤثر عليه الحياة الاجتماعية وحسب، بل ان الطبيعة وظواهرها أيضا تمارس عليه تأثيرها. فعليه وجب أن ندرس الطبيعة وظواهرها في شتى أشكالها المتعددة، كما وجب أن نرس قوانين الطبيعة الحية من نبات وحيوان وجسم الانسان نفسه، وقد تناول العلم الطبيعي الظواهر الطبيعية تناولا معينا وحدودا كالرقابة والاستثمار ثم اختبار الاستنتاج. فباستخدام هذا الأسلوب ودراسة ظواهر الطبيعة دراسة تدريجية تكتسب المعرفة الكاملة بها.

وثمة جانب آخر من العلوم الطبيعية يثير اهتماما خاصا. فإننا ندرس الحياة الاجتماعية في تطورها وهذا يجب أن يكون أساسنا في تناولنا العلوم الطبيعية أيضا: أصل الأرض أصل الحياة على الأرض، أصل شتى أنواع النباتات والحيوانات، أصل الانسان –هذه كلها أمور يجب على الانسان أن يعرفها إن أراد أن يفهم دوره في الطبيعة حتى الفهم وأن يشعر بأنه ثورة من ثمار الأرض. ومن المهم أن لا يقتصر المرء طبعا على التعرف على آخر منجزات العلم بل أن يتعرف أيضا على طريقة التوصل إلى هذه المنجزات وعلى الأدوات والحقائق التي أتاحت لنا هذه المنجزات.

من المهم أن لا يأخذ المرء الأمور على عواهنها، بل أن يشعر حقا بأنها كذلك. ففي قديم الزمان وضع الناس العديد من الأساطير حول أصل الأرض، وحول أصل الأنواع وأصل الانسان. وصارت هذه الأساطير سائدة حتى يومنا هذا رغم أن المراقبة والأبحاث والبحثاق قد حددت نشأتها ومنشئها. هذا إذا ما يجب دراسته.

انها كلمات جارفة ولكنها عديمة المعنى. فما معنى «ان الكتاب يعود للعمل الانتاجي وليس لاكتساب المعرفة»؟ وما مغزى هذا القول يا ترى؟ ان الكتاب يؤدي بالضبط إلى اكتساب المعرفة التي تجعل العمل أكثر انتاجية. ثم يلي ذلك الزعم بأن «الكتاب أداة للعمل الانتاجي...» وليس «لتطوير نظرة منسقة منسجمة للعالم»، وهذا خطأ أيضا. فما هي النظرة إلى العالم. انها هذا الحل أو ذاك للمسائل الأساسية التي تحدد موقفنا من بيئتنا ومن الطبيعة. أيمكن أن نترك هذه المسائل دون حل؟ كلا لا يمكننا ذلك لأننا لو تركناها لما فهمنا أي شيء عن الحياة وسنكون كالجراء العمياء. وما هي النظرة «المنسقة المنسجمة» للعالم؟ انها نظرة مدروسة جيدا، نظرة تجيب على كافة المسائل الأساسية أجوبة لا تتناقض فيما بينها بل ينسجم أحدهما مع الآخر، أجوبة تكون بمجموعها كلا موحدا. وحين يدرس المرء كافة المسائل الأساسية دون أن يتناقض نفسه بنفسه. فهل هذا أمر حسن أم رديء؟ مثل هذا الانسان يعرف ما يجب أن يفعله وكيف يفعله، انه ما ندعوه رجلا «واعيا طبقيا». ولدينا كل الأسباب التي تجعلنا نعتقد بأن عمل الرجل الواعي طبقيا سيكون أكثر انتاجية من عمل رجل لا يعرف وجهه من قفاه. وعلى ذلك يجب أن لا يتصور المرء بأن تكوينه نظرة صائبة للعالم أمر فات أوانه وقدم عهده وأمر غير شرعي. والشيوعي يسعى لأن يصبح ماركسا جيدا ومؤيدا صلبا للنظرة المادية للعالم بكل ثمن. فهو مؤمن بأن هذا سيساعده على العمل والسلوك بشكل أفضل ومعنى ذلك انه يكون ذا كفاءة أعظم.

-كيف ندرس المواد الضرورية

من المهم جدا بالنسبة لمن يريد أن ينكب على التثقيف الذاتي أن يعرف بماذا يبدأ وكيف يواصل دراسته. وطبعا يجب أن يبدأ بكتب يستطيع فهمها، سواء من حيث شكلها أو محتواها. فالرجل الذي لا يلم بمبادئ الرياضيات لن يفهم الرياضيات العالية، وكذلك لا يفهم هيجل من لم يكن له بعض الالمام بالفلسفة. بيد أن هذا ليس كل شيء. فلو تناول أحدهم كتابا يبحث موضوعا لم يفكر فيه من قبل بتاتا، موضوعا لا يحرك فيه عاطفة، موضوعا لا يعرف كيف يربطه بما لديه من معرفة وبالحياة ذاتها، فان قراءة مثل هذا الكتاب قلما تفيده أية فائدة. بيد أن الأمر يختلف ان كان الكتاب يبحث موضوعا مألوفا وان كانت محتوياته تعطيه الجواب عما يدور في خلده من أسئلة.

ولكي أوضح ذلك أورد لكم ما حدث لي منذ زمن طويل –وفي الحقيقة قبل ما يقرب من ثلاثين عاما. فرغم أني كنت قد تخرجت من المدرسة الثانوية، إلا أني لم أكن بعد قد سمعت بتاتا بأن هنالك علما اسمه الاقتصاد السياسي (ولم يكن هذا الأمر عجيبا في تلك الأيام).

وذات يوم قدمت لي إحدى صديقاتي كتاب ايفانيوكوف في الاقتصاد السياسي وحدثتني على قراءته. وكان كتابا من الكتب الشعبية في شكله وفي محتواه. وقد بدأت بقراءته. وأخذت أقضمه لمدة طويلة وانهيته أخيرا. ولكني لم أنل منه أية فائدة بتاتا. وبعد اشهر قلائل، بعد أن بدأت حضور اجتماعات الحلقات أدركت لماذا تجب معرفة الاقتصاد السياسي. فبدأت أقرأ ماركس وقرأت المجلد الأول من رأس المال بلهفة عظيمة وبسرعة أيضا، لقد علمني الكثير. وقد بدا لي كتاب شعبي صغير أصعب من كتاب علمي ضخم.

ان المحاضر أو المعلم الموهوب المنكب على موضوعه يعرف دائما كيف يثير اهتمام الآخرين فيه وكيف يوجه أفكاره الوجهة الضرورية وكيف يثير اهتمامهم في المسألة المعينة. قد لا تكون المحاضرة لذيذة أو عميقة احيانا، ولكنها إذا ما جعلت السامع يفكر وإذا ما أثارت فضوله حينئذ تكون محاضرة قيمة. في الأيام الغابرة كان معلمو الفقه يستخدمون الأدب لإثارة أفكار تلاميذهم. والخطيب يستطيع ذلك في اجتماع. فالأحاديث مع الرفاق ومناقشة القضايا مناقشة مشتركة يمكن أن تؤثر كثيرا في اثارة فضولهم واهتمامهم. لذلك فان النشاط الجماعي في الصفوف أو الحلقات قيم للغاية –وانه حافز ودافع ممتاز.

ولنبحث موضوع **الاهتمام** بشيء من الاسهاب.

برمتها تقريبا أمية ومفككة اقتصاديا، وحين لم يكن لدينا الورق الكافي لطبع الكتب، وحين كنا مضطرين إلى تحديد تداول الصحف، وحين لم يكن في البلاد إلا قليل من المدراس. ولذلك كان موضوع مقالي الرئيسي آنذاك مسألة التعاون المتبادل في التثقيف.

لقد التعطش إلى التعلم هائلا، بينما كانت الفرص محدودة.

ومذ ذاك تغير وجه قطرنا تغيرا تاما: فاليوم قد طبق قانون التعليم الالزامي واتسع تداول الصحف وطبع الكتب الدراسية الضخمة ونظمت شتى أنواع الدروات واتسعت شبكة الراديو. وقد قضي على الأمية في قطرنا تقريبا وازداد وعي الناس. بيد ان ما قلته عن التعاون المتبادل في 1919 يصح في الوقت الحاضر أيضا. فقد قضي على الأمية في القطر تقريبا، ولكن المستلزمات الثقافية قد تمت بشكل ملحوظ أيضا وكذلك يجب النضال من أجل القضاء النهائي على الأمية، إذ مازالت بعض المحلات كمنظمة سيميونوفسكي في قطاع كوركي حيث ازدهرت الحرف اليدوية لقرون عديدة، وحيث استغل الأطفال إلى اقصى حدود الاستغلال، ما زال هنالك العديد من الأميين. وكذلك لم يقض على الأمية 100 بالمئة في المناطق القومية حيث الاسلوب السائد في الحياة لأمد قريب كان أسلوب القبائل الرحل، وحيث تضيع القرى المتباعدة في السهوب الشاسعة وحيث مازال نشر الكتب بلغاتهم القومية منظما تنظيما سيئا. إن حملة مكافحة الأمية بمبادأة عصبة الشباب الشيوعي اسعدت على انتشار التعاون المتبادل في التعليم الابتدائي وساهمت مساهمة جبارة في محو الأمية من بلادنا. وقد جرت الأمور بسرعة لم تدع مجالا للاهتمام اهتماما كبيرا بنوعية التعليم، بل ان مفهوم القراءة والكتابة ذاته قد ضيق كثيرا. يجب أن لا تغفل الانتباه إلى أشكال التعليم الابتدائي ويجب أن نتذكر أن هنالك الكثير من أنصاف الأميين في بلادنا حتى بين الشباب. إن التعاون المتبادل لا غنى عنه في كل أشكال التعليم من الناحية الجماعية. وان ما قلته في 1919 ما يزال صحيحا اليوم أيضا.

ولكني أود في هذا المقال **أن ألفت الانتباه إلى مسألة اخرى –مسألة التثقيف الذاتي، أي كيف يكتسب الانسان المعرفة بصورة مستقلة**. في السنوات الأولى للحكم السوفياتي أعارت مدارسنا من الاهتمام إلى تطور الاطفال العام أكثر مما أعارته إلى الدراسة. وكان التعليم بالإجمال منظما تنظيما سيئا جدا. ولم تتوفر آنذاك كوادر تعليمية جيدة وكان علينا أن نعيد تنظيم النظام التعليمي برمته، وكان ذلك كل ما يشغل بالنا آنذاك. أما في السنوات القلائل الماضية فقد ركزنا اهتمامنا في الدراسة وفي نقل المعرفة إلى الآخرين وفي القاء المحاضرات وفي مساعدة الطلاب على اتقان المعرفة التي يقدمها لهم معلموهم وفي اتقان المواد الواردة في الكتب الدراسية. لقد أصبح التعليم المهمة الأولى.

كتب ولهلم ليبكنخت، وهو من الزملاء المقربين لماركس وانجلز، في كراسه «**المعرفة قوة**» ان أرباب العبيد والاقطاعيين والرأسماليين كانوا يحاولون تسخير المعرفة لأغراضهم الخاصة وتحويلها إلى امتياز. وكانوا يبذلون قصارى جهدهم لمنع الجماهير من اكتسابها.

وقد كتب لينين عن نفس الموضوع في 1895 إلى الجريدة السرية رابوتشيي ديلو. وقد صودرت المسودة أثناء غارة من غارات الشرطة واعتقل لينين. وقد وجد المقال في سجلات الشرطة بعد قيام الحكم السوفياتي، ونشر لأول مرة عام 1924 بعد وفاة لينين. وكان عنوان المقال «بماذا يفكر وزراؤنا؟» وانتهى المقال بالكلمات التالية:

«أيها العمال انكم ترون بأم أعينكم كيف يخاف وزراؤنا، خوف الموت، من اكتسابهم المعرفة! اظهروا لكل انسان أن ليس من قوة تستطيع حرمان العمال من وعيهم الطبقي. ان العمال بدون المعرفة مغلوب على أمرهم، اما مع المعرفة فهم قوة.»

بيد أن وضع اليد على هذه المسودة لم يثن الرفاق بأية حال عن شرح وتوسيع هذه الفكرة أثناء نشاطهم التحريكي. ففي 1896، أي بعد ستة شهور من اعتقال لينين. كتب في يوم العمال في الأول من أيار/مايو نشرة طور فيها هذه المقولة وتمكن من تهريبها إلى خارج السجن. وقد جاء في النشرة المطبوعة بالرونيو «**اننا نحن العمال يخيم علينا الظلام. فقد**

3-من الضروري أن **يقرر الشخص ما يريد دراسته**. فقد يحدث أحيانا أن شخصا يريد الدراسة ولكنه لا يعرف ما يريد دراسته. تجري الأمور على خير ما يرام في المزارع التعاونية أو المعمل لوجود خطة. وكذلك تسير الأمور في **التثقيف الذاتي** إذا وجدت خطة –أي إن لم يقفز الشخص من كتاب لآخر- إن لم يقفز من التاريخ إلى الأدب ومن الأدب إلى الفيزياء. فلا خير في دراسة كهذه. فهناك من يريد تعلم ما يخص الحزب، بينما يريد آخر أن يتعلم عن المزارع التعاونية وثالث عن التكنولوجيا ورابع عن تربية الأطفال الخ. وهناك من يريدون أن يكملوا دراسة السنوات السبع بينما يريد غيرهم نيل التعليم الثانوي أو تعاليم المدارس التكنيكية.

4-لا يكفي أن يقرر الانسان ما يريد أن يتعلمه بل من الضروري أيضا أن يضع **خطة للدراسة**. وهذا هو أصعب الأمور. فالمبتدئ عادة لا يعرف حجم المعرفة التي يريد اكتسابها ولا النظام، أي الترتيب الذي يجب أن يدرس ويقرأ الكتب بموجبه الخ.

ومما يساعده في ذلك قوائم الآداب المفضلة، وكتب التثقيف الذاتي والمناهج والكتب الدراسية. **ولكن من الأفضل أن يتحدث مع اختصاصي في الموضوع قبل كل شيء ويستشيره**. بإمكانه أن يستشير المعلمين أو المكتبات أو المستشارين الذين يستخدمون عادة في المكتبات لغرض مساعدة الناس الذين يدرسون دراسة مستقلة. كذلك يمكنه أن ينال نصحا قيماً من المهندسين الزراعيين أو المهندسين أو الأطباء الخ.

والاستشارات قبل البدء بالدراسة ذات أهمية قصوى وغالبا ما تؤثر تأثيرا حاسما على الدراسة المقبلة.

5-كيف يجب أن يدرس المرء؟

أ-يجب ألا يسرع أو كما اعتاد الناس أن يقولوا يجب أن «يسرع ببطء». فالتسرع في التثقيف الذاتي مضر أبلغ الضرر.

ب-عليه أن يعتني بأن **يزيل كل غموض من كل نقطة غير مفهومة**. وفي هذا السبيل عليه أن يلجأ إلى القواميس الانسكلوبيدية وأن يسأل الناس الذين يعرفون الموضوع والمستشارين.

ج-**عليه أن يعيد قراءة ما درسه**، وهذا يصح بصورة خاصة على الموضوع الذي درسه في المرة السابقة.

د-يجب أن **لا ينقطع عن الدراسة فترات طويلة** خاصة في البداية حين لا يكون الموضوع الذي درسه قد انطبع في ذاكرته. يجب أن يدرس بانتظام.

ه-**إن الاقتباسات تساعد على تذكر الموضوع**. فمن الضروري أن يسجل في دفتره أهم النقاط التي قرأها، وتفسيرات الكلمات أو العبارات الغامضة وأسماء المدن والأشخاص والأرقام. ويجب أن يقرأ ملاحظاته مرارا وتكرارا. يجب أن يكتب كتابة معقولة لكي لا يضيع الوقت في شطب ما قد كتبه.

6-من المفيد جدا استخدام كتب دراسة المراسلة إن توفرت، فهي تقدم النصح وتساعد على اتقان مواضيع الدراسة.

- **حول التثقيف الذاتي**

إن أول مقال كتبته حول التثقيف الذاتي في 1919 كتبته للشباب الشيوعي. وقد أشار المقال وهو على حق أن «خير ثقافة ذاتية يمكن أن ينالها المرء لا تكون بالجلوس في إحدى الدوائر بل بالمساهمة في النشاط الجماعي». وهذا صحيح، ولكن المقال قد كتب في 1919، أي في ذروة سعير الحرب الأهلية حين كنا نكافح دفاعا عن السلطة السوفياتية وحين كانت البلاد

للناس المختلفين ميول مختلفة. فالبعض منهم يهتم بالنشاط الاجتماعي بينما يهتم الآخرون بالتكنولوجيا وغيرهم بالفنون الخ. وهناك بون شاسع بين أن تجبر نفسك على دراسة الشيء وبين أن تدرس شيئا تحبه، شيئا جذابا. والنتائج تختلف اختلافا شاسعا أيضا. تعرف مثلا كم يصعب على الأطفال أن يتعلموا شيئا حين تملأ رؤوسهم أمور أخرى. «صدق أو لا تصدق، صدق أو لا تصدق، لقد نال بوشكين صفرا جديدا».

لماذا كان بوشكين متأخرا في دراسته في الندوة العلمية؟ هل يرجع ذلك إلى أنه ولد مدللا أو كسولا؟ كلا طبعا. بلا كان متأخرا في الدراسة لأنهم لم يدرسوه ما كان يريد أن يتعلمه ولأن اهتمامه كان منصبا على دراسة الشعر. واليكم كيف يصف بوشكين مزاج الشاعر حين يعيش خارج نطاق ميوله وثم حين يثار اهتمامه.

ليس ثمة الكثير مما يثير اهتمامه حقا
في ضوضاء عالمنا.
فروحه الشاعرة غارقة في نوم عميق
وشعره لم يزل غير مسموع.
ومن بين أكثر الناس غباء على الأرض
يكون أقل اظهارا لكفاءته.
وما أن تبلغ اذنيه المرهفتين
كلمة الهية جليلة
إلا ويبدو كعقاب الجو
ويصبح عندها خيرة الناس لا شيء أمامه. (3)

وما يدعوه بوشكين مجازا «بالكلمة الالهية الجليلة» هو الميل والرغبة في الواقع.

ان المزاج الروحي الذي يسبغه بوشكين على الشاعر يصح كثيرا على كل رجال يظهر اهتماما حيا عميقا وثابتا في موضوع معين. خذوا مثلا طبيبا يحب مهنته حبا مرتبكا. فان روحه خارج مهنته غالبا ما تكون «غارقة في سبات عميق» -انه فاتر عديم الاهتمام بكل ما يحدث حواليه. ولكنه ما ان يتحدث امرؤ في موضوع اختصاصه إلا «ويبدو كعقاب الجو». لو راقبتم الناس عن كثب لوجدتم ان اغلبهم يهتمون بشيء ما اهتماما خاصا. فالبعض منهم يهتم بمواضيع واسعة جدا كإعادة بناء المجتمع الانساني. بينما يهتم آخرون بمكافحة الحرائق وآخرون بأطفالهم وهكذا دواليك. ويكون هذا الاهتمام عادة نتيجة انطباع عميق جدا وبعيد جدا في الغالب. اني اعرف رجل أطفاء خبير. حين كان في العاشرة من سنه رأى حريقا فأثر فيه تأثيرا هائلا. ورجع إلى بيته متأثرا بالغ التأثر ولم يترك أحدا لم يصف له ذلك الحريق. وقد أدهشه العمل الذي ينجزه رجل الاطفاء فأثير اهتمامه من هذه الناحية ورسم عنها صورة زاهية الألوان إلى حد المبالغة. ثم جاءت بعد ذلك حياة طويلة –سنوات الدراسة الثانوية الكئيبة، ثم عمل كموظف بسيط وهوايته المحببة: إذ كان يعمل متطوعا في فرقة اطفاء مدينة صغيرة.

لقد عينت وحددت عمل بوشكين طيلة حياته قصص مربيته الخرافية الشعرية والانطباع العميق الذي تركته هذه القصص عليه.

وكلما بحثنا عن مصدر هوايتنا وميولنا الخاصة نجده في الماضي، والماضي السحيق على الاغلب –في بعض تجاربنا العاطفية أي في بعض التجارب التي تستولي على مجامع قلوبنا.

ان اهتمامنا بموضوع معين هو الذي يركز انتباهنا اليه. فالانتباه يمكن تحفيزه واثارته ويمكن عدم تحفيزه واثارته. والانتباه المحفز المثار لا يكون أبديا بل يجب بعثه واحياؤه مرارا وتكرار. أما الانتباه غير المحفز فلا يتطلب أي مجهود من جانب إرادتنا: أضف إلى ذلك أن يكون أعمق وأشد اكتمالا. فالطالب الذي لا يميل إلى التاريخ يجد صعوبة في تركيز انتباهه الى شروح المعلم. فان افكاره مشبعة بأمور أخرى ولذلك يصبح قليل الانتباه ويجب أن يشحذ اهتمامه مرارا وتكرار وهذا يكلفه مجهودا كبيرا.

لذلك فإن من الأفضل أن يدرس المرء في قاعة مطالعة أو في مكتبة.

وأفضل دراسة يتناولها الانسان هي ان تتوفر لديه الكتب والقواميس الضرورية. الخ.

الشبكة. وهنا سنؤدي ما سبق به مبروه الخاصة الى دراسة الظروف الاجتماعية التي تقدم خير المساعدة لبناء هذه المشاريع لشبكة التسهيلات الضرورية لسير الحياة الاجتماعية.

جمعوا مواد عن الظروف الاجتماعية التي تحيط بالمؤسسات الاجتماعية. وسنكون قوة تتجمع فيها كل دراسات. ومن غير ان نعد ونضع منهجا يتناول الموضوع بطريقته الخاصة. فالكاتب الالكتروني سيدرس المسألة من وجهة نظر التسهيلات الكهربية مثلا. ولكن كل واحد من هؤلاء الاشتراكية الاتحادية. ستكون قوة تتجمع فيها كل دراسات. ومن غير ان نعد ونضع

خذوا مثلا تلميذين: أولهما يميل الى الكتابة والآخر الى العلوم الاجتماعية. فكلاهما يجب أن يدرسا الكهربة مثلا. ولكن كل

ان اختيار هذا الميدان أو ذاك من ميادين المعرفة كأساس للدراسة لا يعني ان الرجل يجب أن لا يعير اهتماما للميادين الأخرى. بل بالعكس. فالمسألة الوحيدة هي كيف يجب أن يتناول الميادين الأخرى.

البعض النشاط الاجتماعي والانسنة للأخر ين التكنولوجيا والآخرين الفنون... الخ.

المرء عند اختياره مواد الدراسة ان يتناول أشوق المواضيع التي تجمه واقربها إليه قلبه. وقد تكون هذه المواضيع بالنسبة

ان العمل يثير الانتباه شرط أولي للتذكر. فكل ذلك ينعكس الدور العظيم الذي يلعبه العمل والاهتمام وادناك وجب على

التي لا يقل عن عبقريته الانسكلوبيدية ويختفي في طيات شبكتها». (مبتدئ علم النفس بقلم وليم جيمس).

وفي هذه الحالة قد لا تكون لدى التقاري ذكريات معينة أو قد تكون هذه قليلة جدا ان وجدت. وقد تم الحقائق

«ان علاقتنا بالنظرية ستمسكها بشدة. وكلما ازداد ما يستطيع الذهن ادراكه وتميزه منها ازدادت براعته.

زوجته والبكم ما قاله العالم النفساني الشهير وليم جيمس عم دور الليل والشوق:

ان الحقائق والمواضيع التي يركز الشخص فيها اهتمامه تبقى في ذاكرته مدة أطول. فالعلم باستور كان يتذكر جملة من

«الغلب الناس يتمتعون بذاكرة قوية تجاه الحقائق المرتبطة بتشعباتهم. فرياضي الجامعة الذي يدرس طبيدا أمام الكتب سيدهشك بمعرفته عن «مقاييس» رجال الرياضة في شتى مجالاتها وسيكون قاموسا حيا متحركا للإحصاءات الرياضية. وسب ذلك ذلك يرجع إلى انه سيستعيد ويجعل من سلسلة متدرجة انها لا تشكل بالنسبة اليه أرقاما عربية متباعدة احداها عن الاخرى بل نظاما منسقا مفهوما -كذلك فإنها ترسخ في ذهنه. وكذلك يتذكر التاجر الأسعار ويتذكر السياسي خطب السياسيين الآخرين وأصواتهم بغزارة تدهش الرجال الذين لا يدخل لهم في الموضوع ولكن مقدار الوقت الذي يصرفونه في التفكير بهذه القضايا يفسر ذلك بكل بساطة.

«ان الحقائق التي تحتويها ذاكرة العظماء من أمثال داروين ومونسير والتي تبدو في كتابتهم لا تنسجم مع امتلاكهم دماغا ذا درجة متوسطة من القدرة الفسيولوجية على الحفظ. فليصمم رجل في معقتل عمره على البرهنة على نظرية التطور وسرعان ما تتجمع الحقائق لديه وتلصق به التصاق حبات العنب في العنقود.»

ان علاقتنا بالنظرية ستمسكها بشدة. وكلما ازداد ما يستطيع الذهن ادراكه وتميزه منها ازدادت براعته.

«ان الحقائق التي تحتويها ذاكرة العظماء من أمثال داروين ومونسير والتي تبدو في كتابتهم لا تنسجم مع امتلاكهم دماغا ذا درجة متوسطة من القدرة الفسيولوجية على الحفظ. فليصمم رجل في معقتل عمره على البرهنة على نظرية التطور وسرعان ما تتجمع الحقائق لديه وتلصق به التصاق حبات العنب في العنقود.»

ان الحقائق والمواضيع التي يركز الشخص فيها اهتمامه تبقى في ذاكرته مدة أطول. فالعلم باستور كان يتذكر جملة من

«الغلب الناس يتمتعون بذاكرة قوية تجاه الحقائق المرتبطة بتشعباتهم. فرياضي الجامعة الذي يدرس طبيدا أمام الكتب سيدهشك بمعرفته عن «مقاييس» رجال الرياضة في شتى مجالاتها وسيكون قاموسا حيا متحركا للإحصاءات الرياضية. وسب ذلك ذلك يرجع إلى انه سيستعيد ويجعل من سلسلة متدرجة انها لا تشكل بالنسبة اليه أرقاما عربية متباعدة احداها عن الاخرى بل نظاما منسقا مفهوما -كذلك فإنها ترسخ في ذهنه. وكذلك يتذكر التاجر الأسعار ويتذكر السياسي خطب السياسيين الآخرين وأصواتهم بغزارة تدهش الرجال الذين لا يدخل لهم في الموضوع ولكن مقدار الوقت الذي يصرفونه في التفكير بهذه القضايا يفسر ذلك بكل بساطة.

وفي هذه الحالة قد لا تكون لدى التقاري ذكريات معينة أو قد تكون هذه قليلة جدا ان وجدت. وقد تم الحقائق التي لا يقل عن عبقريته الانسكلوبيدية ويختفي في طيات شبكتها». (مبتدئ علم النفس بقلم وليم جيمس).

ان العمل يثير الانتباه شرط أولي للتذكر. فكل ذلك ينعكس الدور العظيم الذي يلعبه العمل والاهتمام وادناك وجب على المرء عند اختياره مواد الدراسة ان يتناول أشوق المواضيع التي تجمه واقربها إليه قلبه. وقد تكون هذه المواضيع بالنسبة

ان اختيار هذا الميدان أو ذاك من ميادين المعرفة كأساس للدراسة لا يعني ان الرجل يجب أن لا يعير اهتماما للميادين الأخرى. بل بالعكس. فالمسألة الوحيدة هي كيف يجب أن يتناول الميادين الأخرى.

خذوا مثلا تلميذين: أولهما يميل الى الكتابة والآخر الى العلوم الاجتماعية. فكلاهما يجب أن يدرسا الكهربة مثلا. ولكن كل

منهما يتناول الموضوع بطريقته الخاصة. فالكاتب الالكتروني سيدرس المسألة من وجهة نظر التسهيلات الكهربية مثلا. ولكن كل واحد من هؤلاء الاشتراكية الاتحادية. ستكون قوة تتجمع فيها كل دراسات. ومن غير ان نعد ونضع

الشبكة. وهنا سنؤدي ما سبق به مبروه الخاصة الى دراسة الظروف الاجتماعية التي تقدم خير المساعدة لبناء هذه المشاريع لشبكة التسهيلات الضرورية لسير الحياة الاجتماعية.

وأفضل دراسة يتناولها الانسان هي ان تتوفر لديه الكتب والقواميس الضرورية. الخ.

لذلك فإن من الأفضل أن يدرس المرء في قاعة مطالعة أو في مكتبة.

اما اذا كان التلميذ ميالا الى درس التاريخ فانه يتتبع مدرسه بكل اهتمان دون أن يبذل أي مجهود. وكلما طال الوقت الذي يستطيع امرؤ أن يركز على موضوع معين ازدادت قوته لإتقان ذلك الموضوع. أما الرجل الذي لم يحرز المعرفة الكافية والبطيء في اللحاق بالموضوع. ان قوة الذكاء تكمن في ان الرجل يفضل دراسته وتناوله الحديث والقديم للموضوع ذاته ويدفت اهتمامه بهذا الموضوع. ان قوة الذكاء تكمن في ان الرجل يفضل دراسته وتناوله الحديث والقديم للموضوع ذاته يعزز انتباهه وتقويه مرار وتكرارا أي «يحفز ويثير» انتباهه.

زوجته والبكم ما قاله العالم النفساني الشهير وليم جيمس عم دور الليل والشوق:

الحقائق والتفاصيل التافهة فيما يتعلق بعلم الاحياء، بينما لم يتذكر ابدا ان ارسطو الشاعر الذي كان يقرأ يوميا مع

«غلب الناس يتمتعون بذاكرة قوية تجاه الحقائق المرتبطة بتشعباتهم. فرياضي الجامعة الذي يدرس طبيدا أمام الكتب سيدهشك بمعرفته عن «مقاييس» رجال الرياضة في شتى مجالاتها وسيكون قاموسا حيا متحركا للإحصاءات الرياضية. وسب ذلك ذلك يرجع إلى انه سيستعيد ويجعل من سلسلة متدرجة انها لا تشكل بالنسبة اليه أرقاما عربية متباعدة احداها عن الاخرى بل نظاما منسقا مفهوما -كذلك فإنها ترسخ في ذهنه. وكذلك يتذكر التاجر الأسعار ويتذكر السياسي خطب السياسيين الآخرين وأصواتهم بغزارة تدهش الرجال الذين لا يدخل لهم في الموضوع ولكن مقدار الوقت الذي يصرفونه في التفكير بهذه القضايا يفسر ذلك بكل بساطة.

ان الحقائق والمواضيع التي يركز الشخص فيها اهتمامه تبقى في ذاكرته مدة أطول. فالعلم باستور كان يتذكر جملة من

الحقائق والتفاصيل التافهة فيما يتعلق بعلم الاحياء، بينما لم يتذكر ابدا ان ارسطو الشاعر الذي كان يقرأ يوميا مع

يعزز انتباهه وتقويه مرار وتكرارا أي «يحفز ويثير» انتباهه.

وبدفت اهتمامه بهذا الموضوع. ان قوة الذكاء تكمن في ان الرجل يفضل دراسته وتناوله الحديث والقديم للموضوع ذاته والبطيء في اللحاق بالموضوع. ان قوة الذكاء تكمن في ان الرجل يفضل دراسته وتناوله الحديث والقديم للموضوع ذاته يستطيع امرؤ أن يركز على موضوع معين ازدادت قوته لإتقان ذلك الموضوع. أما الرجل الذي لم يحرز المعرفة الكافية

اما اذا كان التلميذ ميالا الى درس التاريخ فانه يتتبع مدرسه بكل اهتمان دون أن يبذل أي مجهود. وكلما طال الوقت الذي

وأفضل دراسة يتناولها الانسان هي ان تتوفر لديه الكتب والقواميس الضرورية. الخ.

وتخصيص الواجبات فسيجد نفسه آخر الأمر في وضع أفضل من وضع الطالب الذي يدخل الدورات أيه سيتعلم كيف يضع الخطط التي تلائمه شخصيا وتتناسب مع معرفته.

وأفضل بعض الشيء بالنسبة لشخص غير مجرب. فليس ثمة خطر من أن يضل الطريق. ولكنه لو ترك وحده لوضع الخطط

-قواعد عامة:

- **إرشادات عامة لمن يريد أن يدرس دراسة عام**

ولكن هناك بعض القواعد التي يجب أن يتبعها الراغب في دراسة عام.

وسواء درس الشخص في حلقة أو درس مستقلا عليه أن يحصل على كافة الكتب العربية إن هو أراد أن يقتصد وقته وطاقته وأن يسير في الطريق القويم. فيجب أن يتوفر لدى الشخص قاموس سياسي شعبي، وانسيكلوبيديا شعبية، ودليل لأهم الكتب التي يجب أن يقرأها مع ملاحظات وتعليمات حول ما يجب أن يعرفه الشخص من المعلومات الأولية كي يستطيع قراءتها... الخ. انه لا يمكن أن يستغني كذلك عن وجود مجموعة من خطط الدراسة تتضمن سلسلة من الخطط في شتى فروع المعرفة. موضوعة لأناس ذوي مستويات تعليمية مختلفة. كذلك يجب ان تكون لديه كتب لأهم فروع المعرفة وكتب عن الثقيف الذاتي تعليمات عن الدراسة المستقلة في هذا الموضوع أو ذاك إن هذه الكتب والعوامل المساعدة تجعل الدراسة المستقلة مثمرة.

-قواعد عامة:

- **إرشادات عامة لمن يريد أن يدرس دراسة عام**

ولكن هناك بعض القواعد التي يجب أن يتبعها الراغب في دراسة عام.

وسواء درس الشخص في حلقة أو درس مستقلا عليه أن يحصل على كافة الكتب العربية إن هو أراد أن يقتصد وقته وطاقته وأن يسير في الطريق القويم. فيجب أن يتوفر لدى الشخص قاموس سياسي شعبي، وانسيكلوبيديا شعبية، ودليل لأهم الكتب التي يجب أن يقرأها مع ملاحظات وتعليمات حول ما يجب أن يعرفه الشخص من المعلومات الأولية كي يستطيع قراءتها... الخ. انه لا يمكن أن يستغني كذلك عن وجود مجموعة من خطط الدراسة تتضمن سلسلة من الخطط في شتى فروع المعرفة. موضوعة لأناس ذوي مستويات تعليمية مختلفة. كذلك يجب ان تكون لديه كتب لأهم فروع المعرفة وكتب عن الثقيف الذاتي تعليمات عن الدراسة المستقلة في هذا الموضوع أو ذاك إن هذه الكتب والعوامل المساعدة تجعل الدراسة المستقلة مثمرة.

-قواعد عامة:

1-كيما يكون الثقيف الذاتي ناجحا. من الضروري تطوير عدد من العادات: القراءة الصامتة، عدم القراءة ببطء شديد، معرفة استعمال الكتب والصحف والكتب المرجعية، وكيفية الاقتباس، وكيفية تسجيل الملاحظات. وبعبارة أخرى لكي يدرس المرء بنفسه دراسة جيدة يجب أن يتمتع بالحد الأدنى من تكنيك الثقيف الذاتي.

2-الدراسة الناجحة تطلب مراعاة بعض القواعد.

فأفضل وقت للدراسة هو الوقت الذي لا يكون فيه الانسان متعبا، أي حين يكون رأسه كما يقال «طرياً نشيطاً». لذلك فإن

الوقت المفضل **للدراسة هو الصباح أو بعد أوقات الاستراحة.**

ولكن لا يتعب الشخص بسرعة من الدراسة يجب أن لا يدرس في غرفة قليلة الاضاءة، نصف معتمة، رطبة، كثيرة الحرارة.

ومن الضروري جعل الدراسة ممتعة. حيث تتجمع أحاسيس قوية تجعل الشخص يزاول عددا كبيرا من الدراسات بنشاط.

انه كما يقول فلاديمًا «يعيشون بعقول الآخرين». فخطابهم موضوعة من قبل المدرسين، وهذا في البداية أسهل طبعا

ووضع النقاط صعب جد بالنسبة للمبتدئ لأنه عادة لا تكون لديه فكرة واضحة عن مدار ما يجب أن يتضمنه وعن كيفية تقسيم الموضوع إلى مواضيع متصلة. فبإمكانه أن يسأل أحدًا العون رفاقه الذين سبقوه في معرفة الصنوع العام لمساعدته أو يمكنه أن يأخذ إلى بعض الكتب المتوفرة بهذا الصدد. والناس الذين يحاولون من هذه الناحية أن يأخذوا بالمعرفة المتوفرة من قبل، ولذا فالمسألة هي أخذ العين كأساس، ثم تعزيز هذا العلم بصورة مستمرة.

وليس المهم أن تتوفر لدى الانسان المعرفة وحسب، بل المهم ايضا أن تنسق هذه المعرفة تنسيقا جيدا.

وكلمة «التنقيف» في هذه الحالة تعني نسج نسيج كامل من الافكار الجديدة وصول نواة الافكار التي يجب ادماجها الانسان. على أن تكون هذه الافكار الجديدة وثيقة الصلة بالموا ضوع.

لقد قال المهندس الأمريكي الشهير فردريك تايلر في مصطلح حديثه عن تنظيم العمل أن كل مستخدم وكل عامل يجب أن توكل اليه مهمة معينة ثم يقول «وكلما انتفض مستوى عقل الفرد وشخصيته ازدادت الضرورة إلى أن يستغرق كل واجب فترة زمنية قصيرة فقط. فليس من المحاسن من يفكر بالطلب إلى الأطفال أن يدرسوا كتابا معينا أو موضوعا معينا دراسة آخر. وخير تقدم يمكن احرازه هو أن تتطور الفروض بحيث يمكن تخصيص ساعة دراسية معينة يجب أن نعلم الدرس خلالها».

ان تايلر محق تماما. فعند الدراسة لأول مرة يجب أن يخصص المرء لنفسه واجبات بسيطة سهلة. إذ لا يمكن انجاز الواجبات إلا إذا كانت كذلك.

٥-على المرء أن يتعلم العمل وفق خطة موضوعة مقدما. فالرجل غير المجرب يحاول عادة أن يعمل عدة أشياء في وقت واحد. فيأخذ كتابا، ثم يترك ليتناول الآخر، وينتقل من موضوع إلى آخر دون أن يتقن أيا من هذه المواضيع. هذا الأسلوب ليس مثمرا ولا اقتصاديا. فعلى المرء أن لا يقفز من موضوع لآخر، بل عليه أن يتبع نفسه هدفا معينا -ويجب أن لا يكون هذا الموضوع بعيد المنال أو واسعا بل ملموسا ومحدودا. وانفرض مثلا أن الشخص يريد دراسة الرأسمالية. إنه هو موضوع واسع للغاية. وكما يستطيع المرء أن يتقسم إلى مراحل الرأسمالية في انجلترا مثلا السير في هذا الطريق فيختار مثلا وليكن مثلا الرأسمالية الحديثة. ثم ان على المرء أن يقسم هذا الموضوع أيضا. فمن المبدأ مثلا السير في هذا الطريق فيختار مثلا وضع الطبقة العاملة البريطانية في المرحلة الحالية من مراحل الرأسمالية. ويجب أن لا ينتقل إلى الموضوع التالي إلا بعد أن يتقن هذا الواجب المحدد وهكذا دواليك. هذه خير طريقة لإتقان الموضوع من وجهة نظر اقتصاد الوقت والطاقة.

ولكي يضع المرء، مثل هذه الخطة يجب أن تكون لديه فكرة عن الموضوع ككل ولو كانت فكرة عامة.

وعند دراسة المرء موضوعا يجب أن يختار طبعا خير ما يتوفر من الكتب في ذلك الموضوع. الكتب التي تشرح هذا الموضوع شرحا وافيا عميقا ومدعما. وعلى المرء أخيرا أن يبدأ بدراسة موضوع يكون أقرب المواضيع إلى علمه وان يوسع أفقه معرفته تدريجيا وان ينتقل أبعد فموضوعا وبذلك بشيء شديد بالتؤدة الأولية لدراسته.

وعلم تحويل هذه السيئة ملموس لدى العامل والفلاح من الوقت والطاقة ما يثيره على المواضيع التافهة.

ويجب أن نختار من المعرفة البشرية كلها المواضيع ذات الأهمية الخاصة، أي المواضيع الجوهرية التي يتطلبها فهم بيئتنا وواضح للوقت والطاقة.

وإذا كان يجب قراءة الكتب الأخيرة فعلينا أن نكتسب بعض المعرفة الفنورورية قبل ذلك. فتناول موضوع لا نستطيع إدراكه تدريجيا عليا أن نتناول الموضوع الذي نستطيع استيعابه. الكتب الممكنوبة بلغة شعبية وليس كتب الاختصاص التي تتطلب تدريبا خاصا.

بكلمات موجزة.

د-سؤ لنا أن تحدثنا عن **اختيار المواد** من وجهة نظر اقتصاد الوقت أو الطاقة. ولا نحتاج هنا إلا أن نكرر ما قلناه سابقا مستديلة.

جهوده تبذل على ضبط والتكنيك. لذلك يجب على المرء أن يطور العادات ويدعمها تلقائية. وبدون ذلك تمسح الدراسة

نعلم كم تصعب تهجئة الكلمات على الرجل الأمي، وكم يصعب التوقيع أحيانا على الشخص نصف الأمي وكم يبذل من الوقت والجهود ليكتب اسمه. من الواضح أن هذه العمليات كلها ستوتحب كل انتباهه وانه لا يستطيع التركيز على ما يقرأ. فكل

ما ن ما يجب أن يحاوله المرء هو ان يمسك بالنقاط الرئيسية، ويفحص النقاط التي تشدها وقد يورد

وقد يحدثُ يصعب على القارئ ادراك ما يريد الكاتب ان يقول فيضطر الى قراءة الكتاب من جديد مثل أو ثلاث أحيانا. عند محاولة المرء تحليل ما قرأه يجب الا يحاول تذكر كل الأمور النفسية الثانوية أو كل كلمة. فان الامر من هذا أكثر من فائدته.

الجهود الواعية للإرادة سرعان ما يؤدي إلى الانهاك». **(شوبنهاور، علم النفس بقلم وليم جيمس).**

فمن الواضح جدا أن الفلاح والعامل يرتشفان المعرفة، كل بطريقته الخاصة لأن تجاربهما في الحياة واضفهما في المعرفة المتباينة. وليست المسألة هنا مقدار المعرفة بل نظام وشكل تقديم هذه المعرفة.

وغالبا ما تنسى هذه النقطة عند وضع مناهج شتى الدورات ومدارس البالغين، فلا تؤخذ في الحسبان عادة مستويات الطلاب مختلفان متباينان.

ان الكتاب هو الأداة الأساسية في اتقان أي موضوع. ان يلعب دورا استثنائيا في الحياة المعاصرة وفي الثقافة المعاصرة. «فالثقافة البشرية وراثية. وتمثل تراكم الخبر والمعرفة والاختراعات. ولو لم تكن كذلك، ولو كان على كل جيل أن يبدأ من جديد الجحر لما تقدم الانسان أبعد من حالته البدائية. والخبرة والمعرفة تنتقلان من جيل إلى جيل بواسطة الكتب. فالكتاب بالذات هو الذي يبلور رأسمال المعرفة الذي ينتقل من جيل لآخر والذي تزداد سرعة نموه باطراد وهذا ما يعجل بتقدم الانسانية (أ.بوكردنيكوف، المكتبات وعملها).

لذلك من الضروري جدا أن نتعلم كيف نستعمل الكتب وأن نربي لدينا عادة القراءة كثيرا ومبريعا. من الضروري أن نتعلم واحتياطا كبيرا من الكلمات والأفكار.

بيد ان هذا لا يكفي. بل يجب ان يفهم القارئ ما يقرأ. وهذا أصعب كثيرا. لأنه يتطلب بعض المواهبة ويتطلب أفقا أوسع

وكلما نضج الانسان بسرعة كان أسرع في فهم ما يقرأ. بيد أن على المرء أن يعرف كيف يفرق بين ما يفهمه وما لم يفهمه، وكيف يحلل الأجزاء الغامضة مما قرأ. والطريقة المثلى هي اعادة قراءة الموضوع والتعمق في الكلمات والافكار والتعابير غير المفهومة. ومن أجل ذلك يجب أن يرجع الانسان إلى القواميس السياسية والاسكلوبيديات والكتب الدراسية والكتب الشعبية المعلقة بالموضوع الخ. وإذا ما صعبت معاني الكلمات ضمن المفضل كتابة واستذكار العبارة التي وردت فيها تلك الكلمة بأكملها والتفكير في عدد من العبارات المشابهة التي تدخل فيها تلك الكلمة. وباختصار على المرء أن يقلد الاطفال في هذا. التذكر الذي كنت أراقب فتاة في السادسة من عمرها. كانت قد سمعت لأول مرة في حياتها بالكلمة «وقتي». لقد كررتها في النصف الساعة التالية أكثر من عشر مرات وبعبارات مختلفة. وقد فعلت ذلك دون وعي منها بالطبع. فعلى الشاب أو الراشد أن يتبع نفس الأسلوب ليتعلم كيف يستخدم الكلمات التي لم يكن يعرفها بصورة أوتوماتيكية عندما تقتضي الحاجة استعمالها. والشيء الرئيسي هو أن يضبط معناها الصحيح ومفهومها الدقيق، وان يحذر من استخدامها بصورة مخطوءة.

ان هذا التنقيب عن معنى التعابير والكلمات غير المعروفة، يدرك بطبيعة الحال ذهن القارئ عن فكرة الكتاب الرئيسية، وانتخاب ذلك على المرء أن يسعى الى اتقان اللغة الأدبية بأسرع ما يمكن وأن يتعلم استخدامها بصورة أوتوماتيكية.

ومما لا غنى عنه أيضا فهم القارئ للموضوع الذي قرأه وهنا يجب اتباع نظام معين.

أولا، عندما ينهي شخص قراءة كتاب (وفي البداية من المفضل أن يتعلق القارئ هذا بعد قراءة كل فصل من فصول الكتاب) يجب أن يحلل مقاصد الكاتب، أي فكرته الرئيسية والحجج التي يدلي بها في تأييد فكرته هذه. فمن المهم جدا أن يتصور القارئ بوضوح سير أفكار الكاتب. فالفهم الصحيح هو الخطوة الأولى لتتبع الكتاب تتبعا واعيا.

ج-إذا أراد الشخص أن يكون ناجحا في عمله فعليه أن **يكتسب العادات** الضرورية لدراسة الكتب.

ومن هذه العادات معرفة القراءة والكتابة والحساب وفهم الخرائط الخ. فعلى المرء، أن يتعلم القراءة الصامتة الكثيرة والسريعة. وأخذ الملاحظات الدقيقة الموجزة وتناول الكتاب لهدف معين. وبطور المرء هذه العادات بعية العمل على أن لا يغدر الوقت والطاقة.

فالعادة تحرر الذهن وتتركه للتفكير والابداع. فأكثر الافعال لدى الحيوانات تلقائية. والانسان يولد وليديه ميل الى أن يفعل أكثر مما تهيئه مراكزه العصبية للعمل معه مما. وعدد الأفعال التلقائية عند البالغين من الكثرة بحيث ان أغلبها يجب أن يكون ثمرة دراسة مريرة. ولو لم تكتمل هذه الأفعال بالتمرين أو لم تقتصد العادات مقدارا من الطاقة العصبية والعضلية لكان الانسان في مهنة شديدة جدا. يقول هنري مورديي وهو على حق: «لو لم يصبح العمل اكثر سهولة بعد تكراره عدة مرات، ولو كان من الضروري بذل التوجيه الواعي الدقيق عند انجازها في كل مرة فمن الواضح أن نشاط الحياة برمته كان سيقتصر على عملية أو عمليتين وأما أمكن احراز التقدم نتيجة التطور. ولا اشغل المرء طيلة يومه في شيء وخلع ملابسه. واشغل قوام جسمه وشكل وقفته كل انتباهه وطاقته. ولكان غير قادر على ترتيب أحد أزراره بعد شاة ما في كل مرة شأنه في ذلك شأن الطفل عند تدربة هذا العمل لأول مرة. وسكون إضافة لذلك منهكا نتيجة مجهودات... فبنيتنا تبز الأفعال التلقائية الثانوية بقليل من التعب نسبيا – وهي في هذا المضمار تقرب من الحركات العضوية أو الأفعال اللاعكاسية الأصلية – فإن

ب-ان يكون الشخص مستعدا للدراسة. فالمرء لا يستطيع ان يدرس بنجاح ما لم يكن مستعدا لذلك. فالاستعداد يعني ان يكون الشخص مهيأ للدراسة. وان يكون لديه الوقت والمكان والكتب والأدوات اللازمة. وان يكون في حالة صحية جيدة. فالمرء لا يستطيع ان يدرس بنجاح أن بين الناس من يستطيع الدراسة حتى في أكثر الصحات حزنا وضجيجا ولكنهم لا يستطيعون ذلك إلا حتى يكونوا منعزلين بحيث لا يعيرون اهتماما لكل ما يجري حوالهم. يقال عن أرخميدس الهندسي الإغريقي كان منغمرا في مخططاته إلى درجة أنه حين هجم على بيته أحد جنود الأعداء لم يقل له شيئا سوى: «لا تمس دوائري». ولكن ليس بمقدور كذلك المنغلين أو اشغل شيئا آخر من هذا القبيل.

ولو أن عينيه كانتا تقرآن

فان أفكاره كانت بعيدة جدا...

يقولون:

الطالب ناجحا يجب أن لا يدع الافكار الأخرى تقاطعه بين حين وآخر وإلا لكان شأنه شأن بينديتي اوتيرين الذي كتب عنه كل شخص أن ينغمر في دراسته لدرجة لا يرى معها كل ما يجري حوله وكذلك كان من الافضل أن لا يزعجه أحد. ولكي يكون والشرط المناسب الآخر هو عدم وجود أي شيء يجب الانتباه الشخص أثناء العمل. فليس بإمكانك أن تدرس في الضوضاء، وحين يتحدث الناس أو حين يقاطعك الناس باستمرار يقضيا تاهقة. من الضروري أن نتعلم احترام سلام الناس واطمئنانهم فلا نفخ ونصفر وتتحادث عندما يدرس الآخرون. كذلك أن يتعلم المرء كيف يدرس في مكتبة أو في نادٍ وليس في المكتبة ما يصرف ذهن الشخص. اضف إلى ذلك تتوفر في المكاتب الكتب الجامعة والمصادر والكتب والأطالس والكتب الدراسية وكل ما يحتاجه الشخص لمساعدته على الدراسة الجدية.

والشرط الثاني هو الهواء النقي. فالعقل لا يعمل عملا نشيطا طيبا إلا إذا كان القلب نشيطا وهذا يتطلب الهواء النقي. ويجب أن لا يكون جو الغرفة حارا جدا أو وخما. وقبل البدء بالعمل يجب فتح النوافذ وتهوية الغرفة. فالغرفة المملوءة بدخان السكائر والبخار تجعل العمل شاقا للغاية.

الكاتب احيانا بعض الوقائع التي توضح آراءه أو قد يدلي بحجج تؤيد هذه الآراء. وأفضل شيء بعد القراءة هو ان يضع القارىء مخططا مكتوبا لما قرأه. بيد أن هذا كله يتطلب تدريبا طويلا.

ثم ان على القارئ أن يهضم محتويات الكتاب. وان أوضحت الفكرة الرئيسية بالوقائع، فيجب أن يرى المرء أولا ما اذا كامن عرض هذه الوقائع عرضا صحيحا، وثانيا ما اذا كانت هذه الوقائع نموذجية بدرجة كافية. وعلى المرء ان يحاول في وقائع مشابهة أو وقائع معاكسة لها تماما، وحين يدلي الكاتب ببعض الحجج لتأييد فكرته، فعلى القارئ أن يحاول وضع حجة أخرى وان يقارن بين الحجتين ويقرر أيهما أوضح وادق. وعلى المرء كذلك ان يبحث عن طريقة اخرى لتناول المسألة. وبعد ان يكون القارئ قد فعل كل ذلك يجب أن يقرر ما اذا كان متفقا مع الكاتب أم لا، وفي أي النقاط يتفق معه أو يخالفه.

عند قراءة كتاب ما على المرء أن يسجل ما يريده ويجب أن يتذكر التواريخ والأسماء والأرقام. وقد يكون من المفيد في الغالب تخطيط جدول على أساس هذه الأرقام كيما تتكون لدى المرء صورة أوضح عما قرأ. وكذلك من الضروري أن يسجل القارئ كل الأفكار والتعابير التي يحبها. بيد أن على المرء أن يتجنب الاقتباسات الطويلة التي لا يقل فهمها عن فهم الكتاب صعوبة. يجب أن لا يسجل المرء إلا ما هو جوهري ويسجلها كآراء وفي نفس تسلسل ورودها في الكتاب. ويجب كتابتها كتابة واضحة مفهومة.

أما الدفاتر الضخمة التي يصرف فيها القارئ وقتا طويلا فتكتب فيها مقتسبات طويلة لا يعرف حت صاحب الدفتر أولها من آخرها فعديمة الفائدة تقريبا. ومن الناحية الثانية فإن الدفاتر ذات المقتبسات المسبوكة الموجزة الدقيقة والمفهومة، المقتبسات التي تذكر القارئ حالا بما قرأ وتمكنه من توجيه نفسه بواسطة الأرقام والمواد الاخرى تفيد فائدة جمة. فهكذا يجب أن يتعلم القارئ الاقتباس من الكتب. وعلى المرء أن يتدرب على ذلك دون أن يفرط بوقته، فيبدأ في مقالات صغيرة وينمي في نفسه تدريجيا عادة عمل هذه الأشياء بطريقة تقتصد الوقت أيما اقتصاد.

وفي حالات معينة يكون من المفيد طبعا اقتباس قطع مطولة، فان كان الكتاب شيقا وهاما بشكل خاص على المرء أن لا يبخل بالوقت اللازم لتسجيل مقتبسات مطولة وفي اقتباس عبارات بكاملها. ويجب أن يفعل المرء ذلك إن كان في نيته أن يقتبس من الكتاب مقالا أو تقريبا.

كذلك من المفيد كتابة مقتبسات طويلة حين لا يكون المرء قد أتقن فن الكتابة أو الاملاء أو اللغة الأدبية. فالاستنساخ في مثل هذه الحالات مفيد جدا. ومن الأفضل استنساخ ما يلذ القارئ وما يتعلق بما قرأه. وهذا أكثر ثمرة من استنساخ أي شيء آخر.

ولكن من الأفضل عادة كتابة مقتبسات قصيرة ودقيقة ومضبوطة.

وهكذا فان الواجب الاول هو ان يصبح الموضوع الذي قرأه المرء واضحا وأن يتقنه.

والواجب الثاني هو هضم القارئ لما قرأ.

والواجب الثالث هو كتابة المقتبسات الضرورية.

والواجب الأخير هو تقرير ما إذا كان الكاتب قد قدم للقارئ معرفة جديدة. وما إذا كانت هذه المعرفة ضرورية ومفيدة وما إذا كانت قد علمته أساليب جديدة للملاحظة والعمل والدراسة وما اذا حفزت بعض أمزجته ورغباته.

وبذلك نكون قد وضعنا خطة أو مشروعا لدراسة كتاب.

اننا لا نعمل ساعات منظمة إلا في المعامل أو الدوائر. أما باقي أوقاتنا فنصرفها كيفما اتفق: نتجاذب الأحاديث مع الأصدقاء ونستلقي في الفراش ونقرأ قصصا سخيفة الخ. ثم ندرك في المساء كم بذرنا من الوقت فنمسك كتابا مفيدا –ولكنك حينذاك- تجد نفسك منهكا. ولكي تبقى مستيقظا تدخن سيجارة بعد أخرى وتترك كتابك جانبا وتتكلم أو تناقش مع أحد الأصدقاء حتى الفجر تقريبا. وفي الصباح تستيقظ خاملا منهكا.

إن الأجانب يعرفون قيمة الوقت. فالعلماء والكتاب والاساتذة ينامون مبكرين ويستيقظون مبكرين ويعملون حين يشعرون بالنشاط ولا يزورون أصدقائهم إلا نادرا وينظمون أوقاتهم بدقة. فهم يعينون ساعة منظمة للنهوض من النوم والعمل والغذاء والراحة.

من الشيق جدا أن نرى كيف نظم مشاهير العلماء والكتاب أوقاتهم.

ولنأخذ تولستوي مثلا. لقد كتب قصصا صغيرة وكبيرة –وهي أشياء تعتمد كليا على مزاج الفرد. ومع ذلك فقد كان وقته منظما أدق تنظيم. فقد كان يعمل الكثير كل صباح، ويكتب شيئا ويعيد كتابته من جديد مرارا وتكرارا. والكاتب لا يمكن أن يعيش كالناسك المتعبد: فهو يجب أن يجتمع بالناس ويرى كيف يعيشون فقد تولستوي وقتا لهذا أيضا وإلى القراءة الخ.

لقد وصف هذا الجانب من حياة تولستوي وصفا جيدا في كتاب سرجيبتكو **كيف يعيش ليو تولستوي وكيف يعمل.**

وقد اتبع نفس هذا النظام إميل زولا أيضا، وهو الذي كتب عددا عظيما من القصص يصف فيها مختلف طبقات المجتمع الرأسمالي. فقد تعود زولا أن يستيقظ في الساعة السادسة صباحا وكان تولستوي يكتب كل صباح ويصرف بعض الوقت في دراسة الطبقات الاجتماعية التي كان يكتب عنها.

وخذوا قصص حياة الموسيقيين العظماء، ولتكن حياة بتهوفن مثلا وستجدون كم من الوقت كان يصرف في العزف على البيانو وكيف نظم وقته تنظيما دقيقا.

والعلماء الطبيعيون والأطباء أكثر من السابقين دقة في تنظيم أوقاتهم وهم الذين يعملون بالمجهر والمختبرات يجرون البحوث التشريحية. ومن المفيد أن يقرأ الانسان مثلا عن حياة أديسون أو باستور أو غيرهم من العلماء.

وقد اتبع الجراح الشهير كوخو جدولا معينا يوما بعد يوم حتى بعد شيخوخته: فكان يذهب إلى الفراش في ساعة معينة ويلعب التنس لتمرين بدنه على العمليات الخ.

وثمة آلاف من الأمثلة المتشابهة. وعلى من أراد النجاح أن ينظم وقته بكل عناية وأن يقتصد فيه أيما اقتصاد.

ب-ومن متطلبات العمل السلس أيضا دون تبذير الوقت والطاقة خلق أفضل وضع ممكن للعمل.

وأهم شيء هو أن يكون المرء نشيطا مستعدا للعمل. فالرجل المتعب المنهك يعمل ببطء ويعمل عملا رديئا. وأنسب ساعات العمل بالطبع هي ساعات الصباح ففي الصباح يعمل الانسان العادي أفضل من أي وقت آخر. فان كان الشخص مجبرا على العمل من الصباح الباكر فسيجد صعوبة طبعا في توفير بعض الوقت للدراسة صباحا أما إذا بدأ عمل الشخص اليومي في العاشرة أو الحادية عشرة صباحا فان ساعات الصباح يجب الاستفادة منها. بيد أن السهر الطويل غالبا ما يخرب كل شيء وهذا ما يجب تصحيحه. فالدراسة المسائية أكثر ازعاجا. إذ أن الأشخاص يضطر إلى شرب الشاي وتدخين السكاير والمناقشة رغبة منه في دفع النعاس عن عينيه –والنتيجة هي الانهيار السريع وتدهور الكفاءة على العمل.

-اقتصدوا الوقت والطاقة

ان هذا العمل سيكون اكثر حيوية وأعزز ثمرا لو اتكبت عليه دراسة كاملة. فان ذلك يتيح للمساهمين به ان يتناقشوا حول ملاحظاتهم وبما ان كلا منهم يتناول الأمور بطريقته، وعن زاوية مختلفة فستكون النتيجة دراسة المسألة من جميع الوجوه وأكثر من ذلك ان المجموعة ترى أمورا كثيرة قد يعجز الفرد عن رؤيتها.

ملاحظاته وتجاربه.

لذلك فمن المهم جدا أن يختبر الرجل الذي يمارس التثقيف الذاتي المعرفة التي اكتسبها من الكتب ويمتحنها وفق

ويعمل أثراءه في مجتمع المعلمين الآخرين.

التجربة لا بعد أن يقتضي مدة طويلة في مجتمع المعلمين الآخرين ويعمل له شتى الاساليب ويرى كيف يعيش كانت في العصور الوسطى عادة شيقة وماجمة جدا. فلم يكن يسمح للعامل الصانع (4) أن يصبح خافة بعد أن يقضي دورة

موهبة ولكنه أقل منه ملاحظة، وليس من قبيل المدح ان نتحدث بإجلال عن طبيب «دي خبرة» أو معلم «دي خبرة» الخ.

لذلك فان الرجل المجرب، الرجل الذي رأى الناس وطموسهم وعاداتهم غالبا ما يعرف الحياة خيرا من رجل قد يكون أكثر منه

مثلا ان المكائن تقلل من وقت الانتاج ولكن لا يقدر هذه الحقيقة حق قدرها سوى أولئك الذين انتجوا السلع أول الأمر بأيديهم ثم بالمكائن. كما أن الاثراء عن عملية تاريخية (مثل المعين أو الآخرين) أمر يختلف كل الاختلاف عن إجراء تلك العملية.

ان الكتب تقدم لنا المعرفة وتعرفنا على خبر الآخرين. ولكننا نستطيع اتقان هذه المعرفة اتقانا افضل لو اختبرنا الخاصة. اقرأ: «خلال العاصفة يبدو البحر منظرا خلابا ورائعا». ولكنك لو رأيته بعينيك لكان ذلك شيئا يختلف عن الاثراء كل الاختلاف. فإننا نقرأ

الآخرون لو تناولوا الكتاب من زاوية أخرى. وان التناول المعين للكتاب يصبح عادة شيئا فشيئا.

المنظر أو ذلك. والشيء ذاته يحدث في القراءة: إن أهم شيء هو كيفية تناول الموضوع. فقد يلحظ المرء ما يخطئه

وانر كيف يتناول مختلف الاخصائيين موضوعا معينا فكل منهم له نظامه الخاص في الملاحظة. فالفنان مثلا ينظر الى النبات من وجهة نظر ألوانه وبهائه والمكاسات أنواره ورشاقته. وحين ينظر العنان إلى النبات غالبا ما يتجاهل عدد الأسدية في

نظام ملاحظته. اذا ما عالم النباتات نظر الى تلك الناحية فربما لا يرى من ذلك شيئا. ينظر أولا زهرته وكيفية توزيع هذه الأسدية والأوراق الخ. ويتجاهل كل التجاهل العكاس النور على تلك الناحية وكيف يبدو في هذا

ما ينظر الى الأسدية والأوراق الخ. ويتجاهل كل التجاهل العكاس النور على تلك الأزهار ان هي الا تلك خبرة

يستعرض جيوشه كان بالحق أبسط الزيارات المتوجب عليه ان يعتز فيها. فلا يمكنه من ملاحظة كافة الاستعراض. والجواب على ذلك بسيط: كان للنابليون نظام معين فيما يختص بطريقة أخرى. ففي دراسة الرياضيات أو العلوم الطبيعية مثلا وهذه الخطة يمكن تحويرها طبعا ويمكن مباغة مسائلها بطريقة أخرى. ففي دراسة الرياضيات أو العلوم الطبيعية مثلا يحاول المرء أن يرى ما لا يراه الآخرون. مثلا نعلم أن نابليون عندما كان يحمل دورا هاما للغاية في أي عمل، فكثيرا ما يتبع المرء أن يرى ما لا يراه الآخرون. مثلا نعلم أن نابليون عندما كان

واضح أننا لو اردنا أن نصرف وقتنا بشكل مثمر علينا أن نعرف كيف ننظمه تنظيما صحيحا. فكيف نصرف وقتنا عادة؟

أ-والآن فنبدأ بتنظيم الوقت.

ز-أن تكون تحت تصرفنا العوامل المساعدة والتعليمات الضرورية.

و-ابتكار أشكال من العمل الجماعي لغرض اقتصاد الوقت والطاقة.

ه-توزيع عملنا توزيعا مناسبا.

د-اختيار المواد المناسبة للدراسة.

ج-اكتساب العادات الضرورية لدراسة الكتب.

ب-خلق أنسب ظروف عمل ممكنة.

أ-تنظيم وقتنا تنظيما صحيحا.

ولكي نحقق ذلك فإن الأمور التالية لا غنى عنها:

وهكذا فإن السعة التاريخية التي تعيشها ووضع روسيا الخاص وظروف حياة الأغلبية الساحقة لمواطنينا يتطلب منا الاقتصاد في الوقت والطاقة اقتصادا صارما.

الوقت ما يكرسه للتثقيف الذاتي إلا القليل.

فالحياة ذاتها تدل الشاب العامل أو الفلاح على هذا الاقتصاد. فالعامل أو الفلاح يقضي طيلة وقته كادحا وليس له من

العالمية. ولكي يحقق ذلك عليها أن تدرس بحماس وجدية وتوفق، مقتصدة من الوقت والطاقة أقصى ما يمكن اقتصاده.

لقد حدد التاريخ على روسيا –وهي بلد متأخر نسبيا- أن تكون أول دولة ترفع راية الثورة الاشتراكية وأن تنفيها خلافة منذ خمسة سنوات (5). فعليها أن تقوي أساسها المادي إن هي أرادت أن تواصل السير في طريقها باعتبارها معقل الثورة

عليه أن يدرس دراسة اقتصادية، أي يقوم بما يلزم من جهد وعناية للحصول على أكبر نتيجة ممكنة.

وهذا يعني أن الطريقة العامة عموما وعلى كل عامل خصوصا ليس لدينا الوقت الكافي للعمل العبوثي، وأكدما نا مرتجلة

المصحح يجب أن نعرف الكثير.

أنفسنا وأجدادنا. فكل يوم يجب لنا بالجديد فيترتب علينا أن نراه ونحكم عليه ونقرر رأينا فيه. ولكي نفعل كل ذلك على الوجه

النواقص والأخطاء.

الرأسمالي القديم مشرب على الموت والنظام الشيوعي الجديد سائر نحو الموت. وليس باستطاعتنا ان نعيش الآن كما عاش

فلسنا نحن الوقت الحاضر ونحن نسمح لنا بتدبير وقتنا وطاقاتنا. فإننا نعيش حاليا مجتمعا اشتراكيا: فالنظام

الروسيين لا نعرف عنه الا القليل- يعالج تنظيم الدراسات في المدارس العالية والكليات ويتبع الدارسون امام الشباب الأمريكيين

امريهم كيف يقتصدون الطاقة ويحققون أقصر الطرق للنجاح. ان الشاب الامريكي يدرس ذلك حتى أوضاعنا نحن أوضا أن نتعلمه.

ان الأمريكيين ناس عمليين وهو دائما يقولون «الوقت نقود». ولديهم فرع كامل من فروع الأدب – وليس الحط اننا نحن